

الثقافة

46 - 45

مجلة ثقافية - فكرية - شهرية
السنة التاسعة - العددان يونيو - يوليو 2007م

رؤية الوجود في
تجربة الحداثة العربية

الشعر الفنائي الوطني
ودوره في الثورة اليمنية

الدراسة الياقوتية في عدن

المهجر في الموروث الشعبي

نقش على ضريح سبئي

أطلال

أحاسيس ملوثة

الخطة الثقافية لعام 99

حصار الثقافة 98





تبدو بعض مناظر مساجد عدن واضحة في الرسم البرتغالي للصدية سنة ١٩١٨ هـ ١٥١٢ م، وتظهر مناظرنا الجامع القديم وجامع العبيدروس على وجه الخصوص أكثر جلاءً ووضوحاً، أما منطقة (الرزميّة) الخليج الأمامي بما فيها قصر الشكر أو البراق والقصر المحاذي له، والبيوت المنتشرة في المنطقة بدءاً بالبراقات وانتهاء بعنارة عدن التاريخية ..

الاستراتيجية وزياد الطين بطة. تعاقب الحكام الأجانب على مدينة عدن، وما شكك في أنهم انصرفوا كلية عن العناية بالمناظر القديمة في المدينة، فأصبحت عرضةً للهدم والتغيير والتعديل بحيث أصبحت أصولها القديمة، وهذا ما لم يحدث على غالب الظن في المناطق اليمنية الأخرى، فقد ظلت المناظر التاريخية القديمة محتفظة بأصول حتى يوم الناس هذا في صنعاء، وزبيد وجن وعمر، رغم تعاقب الأمانة وتناقلها

ولقد أشارت المصادر إلى العديد من المناظر التاريخية من مساجد ومدارس وغيرها شيدت في عدن في القرون الأولى وبخاصة في القرن الثامن والتاسع والعاشر. من ذلك المدرسة المنصورية التي أبنها عمر بن علي بن رسول المشوفي سنة ٦٤٧ هـ ١٢٤٩ م، وكان مدرسوها، علماء محققين في علم الفرض والأصول والفقه والقراءات والحديث والحساب والجبر والمقابلة والنحو والضرب (٣) وكان المؤرخ محمد بن يوسف الجندى المشوفي سنة ٧٣٠ هـ ١٣٢٩ م أساساً بها، إذ أن مدارس الأمام كانت مساجد تقام فيها الصلوات، ويعين فيها المدرسون الأكفاء، والمعبدون إلى غير ذلك، ومثلها المدرسة السفينانية التي أبنها الشيخ علي بن سفيان الأبنيني في العصر الطاهري، وتبدو هذه المدرسة على مقربة من حسنة اليهود،

فقد كانت جزءاً من بحر صيرة، الذي ترتطم أمواجه بجدران جامع سلامة، أو حلي المنارة التاريخية المصالية للسويد العام بمدينة عدن -كريتر-

وقد شاهد بعض العلماء والباحثون المهتمون بتاريخ مدينة عدن في الخمسينات من هذا القرن، أرماس القصور وأصداف البحر المنتشرة في هذه المنطقة، وعلى الأخص قناة المنارة، وعلى المساحة التي تفصل بين المنارة وغرفة عدن التجارية والصناعية -مركز راسو حالياً- مما يبرهن على صحة ما ذهبنا إليه، ويؤيد

وهذه المنارة التي تقف المنارة على جانب منها، تسمى شارع الاسلايد، أو شارع الملكة أروى

ومما لا شك فيه أن مدينة عدن الساحلية تعرضت لهجمات الغزاة بمختلف مشاربهم، ولحاصلات الفرصة البحرية بكافة أشكالها، ولعل أكثرها شراسةً وهمجية الهجومين البرتغالي والبريطاني، فقد تهدمت على إثر ذلك معظم مساجد المدينة ففي المعركة التي احتدمت بين الغزاة البريطانيين والمدافعين اليمنيين في عدن، عشية إحتلال المدينة سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٢٩ م تهدمت قلعة صيرة التاريخية (١)، وأعاد البريطانيون بناؤها في العشر السنوات الأولى من الإحتلال على الأرجح، عند قيامهم بإعادة تحصينات المدينة، وترميم مواقعها

المدرسة

الياقوتية

في عدن

"مسجد

مذيهب"

احمد صالح رابضة



اكتشاف موقع المدرسة الياقوتية في عدن يؤكد وجود

الكثيرون من المآثر والمعالم في المدينة

البزارين، وهي التربة المحاذية للمدرسة، أو التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ منها.

وقد تداول المؤرخون اسماً آخر عرفت به المدرسة الياقوتية وهو (الدرسة) أو مسجد الدراسة أو مسجد المدرسة حيث أشار المؤرخ عبد القادر بن شيخ العيدروس المتوفى سنة ١٠٢٨هـ - ١٦٢٩م في سياق ترجمته للعلامة عبد القادر بن الفقيه عبد الله بن احمد بأفضل المتوفى سنة ٩٧٩هـ - ١٥٧١م أنه كان قائماً بوظيفة (مسجد الدراسة) بمدينة عدن (١٢) وذكر ابن الديبع المتوفى سنة ٩٤٤هـ - ١٥٢٧م أن الملك المجاهد الطاهري المتوفى سنة ٨٨٣هـ - ١٤٧٨م جدد مسجد المدرسة بعدن (١٣).

ولفظة الدراسة استخدمها الجندي (١٤)، وبامخرمة (١٥)، وابن سمره الجعدي (١٦) بمعنى تلامذة وطلاب العلم، ونعتقد أن هذا وجهاً من وجوه التسمية، إذا صحت النسبة الى المدرسة، فقد ثبت أن الاميرة جهة الطواشي كانت تولي رعاية خاصة بالتلامذة الايتام.

وتفيد رواية يسوقها الأستاذ حمزة علي لقمان أن اسماً آخر أطلقه الهنود على المسجد، وهو مسجد اليمن، وانهم كانوا يشرفون عليه ثم تركوه (١٧) والرواية إن صحت فإنها تدل على أن هذه الطائفة من الهنود انصرفوا عن العناية بالمسجد لما تبين لهم أنه يضم بين جنباته لفييف من علماء وفقهاء السنة من بينهم، البصالي، وبأفضل، وباحميش وغيرهم. ومما لاشك فيه أنهم اعتنوا بالمسجد، ورمموا جوانب منه في فترات سابقة.

عفيف الحضرمي (٩) والفقيه شرف الدين إسماعيل بن محمد الجرداني والشيخ جمال الدين محمد بن بأفضل.

وعينت الأميرة جهة الطواشي إماماً فيها، ومدرسا في الفقه وكان التلامذة «الدرسة» يرتادونها وبخاصة الفقراء والايتماء منهم ليتعلموا القرآن الكريم (١٠).

وقدم القاضي محمد بن احمد باحميش من قرية بور بحضرموت سنة ست عشرة وثمانمئة، وسكن حافة البصالي ولما تولى الطاهريون مقاليد الحكم في عدن عينوه في القضاء الأكبر - قاضي القضاة - وظل على ذلك حتى وفاته في رمضان سنة إثنين وستين وثمانمئة.

ومن هنا يظهر لنا بجلاء أن الفقيه المحدث العلامة الشهيد علي محمد باحميش المتوفى في السبعينات من هذا القرن يضرب باصوله الى أعقاب قاضي القضاة الأسبق المتوفى في سنة إثنين وستين وثمانمئة، وهذا الدليل أحق عندنا أن يرجح، ويجعلنا نجزم في الاعتقاد أن المدرسة الياقوتية هي القائمة بالفعل في حارة البصالي إذ أن ذرية الباحميش تقطن هذه الحارة، وللشيخ علي - طيب الله ثراه - أعقاب فيها.

والدليل الثاني أن العلامة البصالي، محمد بن احمد الذهبي المتوفى بعد سنة ٧٤٥هـ - ١٣٤٤م، والذي عُرفت الحارة به، دُفن في التربة المحاذية للمدرسة، التي تضم بين جنباتها كبار العلماء والاولياء ومنهم الامام الصالح عمر بن علي بن عفيف، وتلميذه الامام الصالح محمد باحميش، والقاضي عيسى بن محمد اليافعي (١١) وكانت هذه التربة تُعرف فيما سبق تربة

إذ وردت في روايات وأخباريات مؤرخي القرن العاشر الهجري (٤) والمدرسة الطاهرية ومدرسة المطهر بن شرف الدين وغيرها (٥).

وكانت عدن وقتذاك موثلاً للفقهاء والعلماء الذين يفدون إليها طلباً للعلم ونشر التعلم، وقد أسهب في ذكر هؤلاء الجندي المتوفى بعد سنة ٧٢٠هـ - ١٣٢٩م في كتابه «السلوك في تاريخ العلماء والملوك»، وبامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧هـ - ١٥٤٠م في كتاب طبقات فقهاء اليمن والجعدي المتوفى بعد سنة ٩٠٤هـ - ١٤٩٨م في كتابه طبقات صلحاء اليمن، ولكثرة إرتياد طلاب العلم والتلامذة للمساجد للاستماع والقراءة، سميت بعض مساجد عدن بأسماء ذات دلالة واضحة مثل (مسجد السماع) (٦).

وكانت تُقرأ في هذه المساجد أمهات الكتب الفقهية، ففي مسجد الشجرة، كان الفقهاء والتلامذة «الدرسة» يتناولون بالدرس والمحاورة كتاب شمائل الترميذي، وقد أشار الجندي في كتابه الى أن ابن سمرة الجعدي لقي أبابكر (كذا) حاكم تريم في عدن، وقرأ عليه تفسير الواحدي، وكتاب النجم (٧).

* المدرسة الياقوتية في حارة البصالي، وفي حارة البصالي (٨) قامت المدرسة الياقوتية، التي ابتنتها جهة الطواشي إختيار الدين ياقوت زوج الملك الظاهري يحيى ابن الملك الأشرف الرسولي، وقد تعاقب عليها جملة من الأئمة والفقهاء ودرس بها عدد آخر منهم القاضي الأجل جمال الدين محمد بن أحمد باحميش، والقاضي تقي الدين عمر بن محمد اليافعي، والفقيه موفق الدين علي بن

المدرسة الياقوتية نسبة إلى الأميرة

الرسولية / جهة الطواشي

(المسجد) دون الاستثناء إلى آراء المختصين، وتعاقت عليها أيدي الهدم والبناء دون مقاييس ومعايير علمية بحيث انمحت أصولها الأولى كلية، فهي لو ظلت إلى عهدنا قائمة لكانت أشبه بالمدرستين، الأشرفية الكبرى بتعز، والعامرية برداع، اللتين ماتزالان قائمتين إلى يومنا هذا على حد قول الأكوغ (٢١) أنظر الصورتين (١) و(٢).

ومن الترميمات الجذرية التي طرأت عليها، ما قامت به جهات الاختصاص في أواخر الستينات وبداية السبعينات من تغيير شامل فيها شمل كل مرافقها ومنافعها المختلفة، وفي السنوات الأخيرة من هذا القرن قام رجل الخير بن محفوظ بترميم واجهتها، وتحديث منافعها، وإضافة بعض الأروقة والغرف الدراسية إليها، وأثناء الترميم والهدم اكتشف البنائون أنفاقاً وسراديب تقضي إلى مواضع غير معروفة وكان أولى - والحال هذه - أن تقف جهات الاختصاص العلمية على طبيعة هذه الأنفاق والسراديب لتحديد هويتها التاريخية فلعل المدرسة تقف على أنقاض مبنى تاريخي قديم.

ومهما يكن من شيء فقد عُين الشيخ الأستاذ أمين سعيد عوض باوزير، النجل الأكبر للمؤرخ سعيد عوض باوزير إماماً وخطيباً للمسجد «المدرسة» في ١٤ سبتمبر ١٩٩٢م فمد يداً للمدرسة التي أطلق عليها مدرسة الفاروق لتحفيظ القرآن، واتخذ لها حيزاً في الطابق الثاني، وخصص الطابق الثالث للفتيات اللاتي يرغبن في تجويد وحفظ القرآن الكريم.

محراب، وفي المقدم المذكور أربعة شبابيك حديدية، أحدهما شرقي، والثاني والثالث قبليان عن يمين المحراب ويساره، والرابع غربي، وأوقفت المبنى المذكور كاملاً مسجداً لله تعالى ومدرسة، والبركة والمطاهير والمغتسلات والحيطان وغير ذلك كل للغرض الذي بُني من أجله لنفع المسلمين.

والظاهر أن الأميرة جهة الطواشي أوقفت بعض الأراضي لصالح المدرسة والقائمين عليها، من ناظر ومؤذن وإمام ومدرس ودرسة وأيتام وغير ذلك، ولا شك أن المدرسة الياقوتية بعدن حظيت بنفس الرعاية والعناية وأوقفت الأميرة أموالاً وأراضي ومصالح لها لم تقف عليها، فمظافها التي دونت فيها، إما أن تكون عزيزة الوجود، أو مفقودة لا أثر لها اليوم.

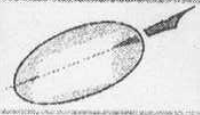
ومما لا شك فيه - كما أشرنا - أن المدرسة الياقوتية في عدن مسجد مذهب حالياً - قد تغيرت وتبدلت واتخذت لها نمطاً حديثاً آخر لا صلة له البتة بالنموذج التاريخي القديم وذلك للأسباب أنفة الذكر، مثلها مثل المآثر التاريخية المتعددة في عدن، التي أصبحت في خبر كان، بفعل ماطرأ عليها من تغييرات في البناء والعمران إبان حكم الانجليز لعدن، وضعف العناية والرعاية لما بقي من مآثر شاخصة بعد جلاء المستعمر منها، وانشغال الحكومات المتعاقبة بتثبيت أنظمتها، وتجزير أطرها السياسية في السبعينات من هذا القرن.

وكيفما كان الحال فقد طرأت تغييرات شاملة على المدرسة

وأيا كان الأمر، فإن هذا المسجد الكائن في شارع الملك سليمان، وهو ما يُعرف اليوم بـ(مسجد مذهب) كما تناقلته العامة محرفاً عن الذهبي، هو المعروف تاريخياً باسم «المدرسة الياقوتية نسبة للأميرة الرسولية سالفة الذكر.

وقد شيدت هذه الأميرة مدارس مماثلة في اليمن من ذلك المدرسة الياقوتية بزبيد غربي الخان المجاهدي (١٨) والمدرسة الياقوتية في رباط البريهي من ذي السفال (١٩) والمدرسة الياقوتية في مدينة حيس (٢٠).

وأثبت الأستاذ الأكوغ نصاً يبين صورة بنیان المدرسة الياقوتية في رباط البريهي من ذي السفال، كما جاء في الوقفية الفسانية لعله يمثل صورة تقريبية للمدرسة الياقوتية بعدن، وهو كالتالي: «بوابة يمانية يدخل منها إلى مجاز يكون عن يمين الداخل يسلك فيه إلى عقد متحول عليه ساقية الماء إلى البركة المباركة فيها، ثم إلى مجاز المطاهير والمغتسل هنالك، ثم يكون عن يسار الداخل من الباب الخارجي مجاز أيضاً ينفذ فيه إلى باب الدرجة التي يصعد فيها إلى أعلى المقصورة هنالك، ثم يسلك أيضاً الباب الخارجي إلى شمسية مرتفعة البنيان وغربي الشمسية إلى إيوان - ويدخل من الشمسية إلى مقدم المدرسة المذكورة المباركة، وهو مجلس مستطيل شرقاً وغرباً فيه ثلاثة عقود، وفي المجلس ثلاثة أبواب، أحدها شرقي يمر فيه مصلى، والثاني يماني يخرج منه إلى قاعة المدرسة المذكورة، والثالث غربي يستطرق منه إلى مقصورة ذات



عن هذه المآثر المنتشرة في المدينة، والتي انمحت اصولها واختفت ملامحها، واتخذت لها مسميات أخرى. وقد دوت أمهات كتب التاريخ اليمني، تاريخ هذه المآثر والمعالم بيد أن الأهمال والنسيان، وعدم إيلائها حظاً من الرعاية والعناية السليمة جعلها عرضةً للإندثار والتلاشي، وواد كل نزوع علمي لمزيد من الدرس والتحري.

عدن ١٧/٨/١٩٩٨م

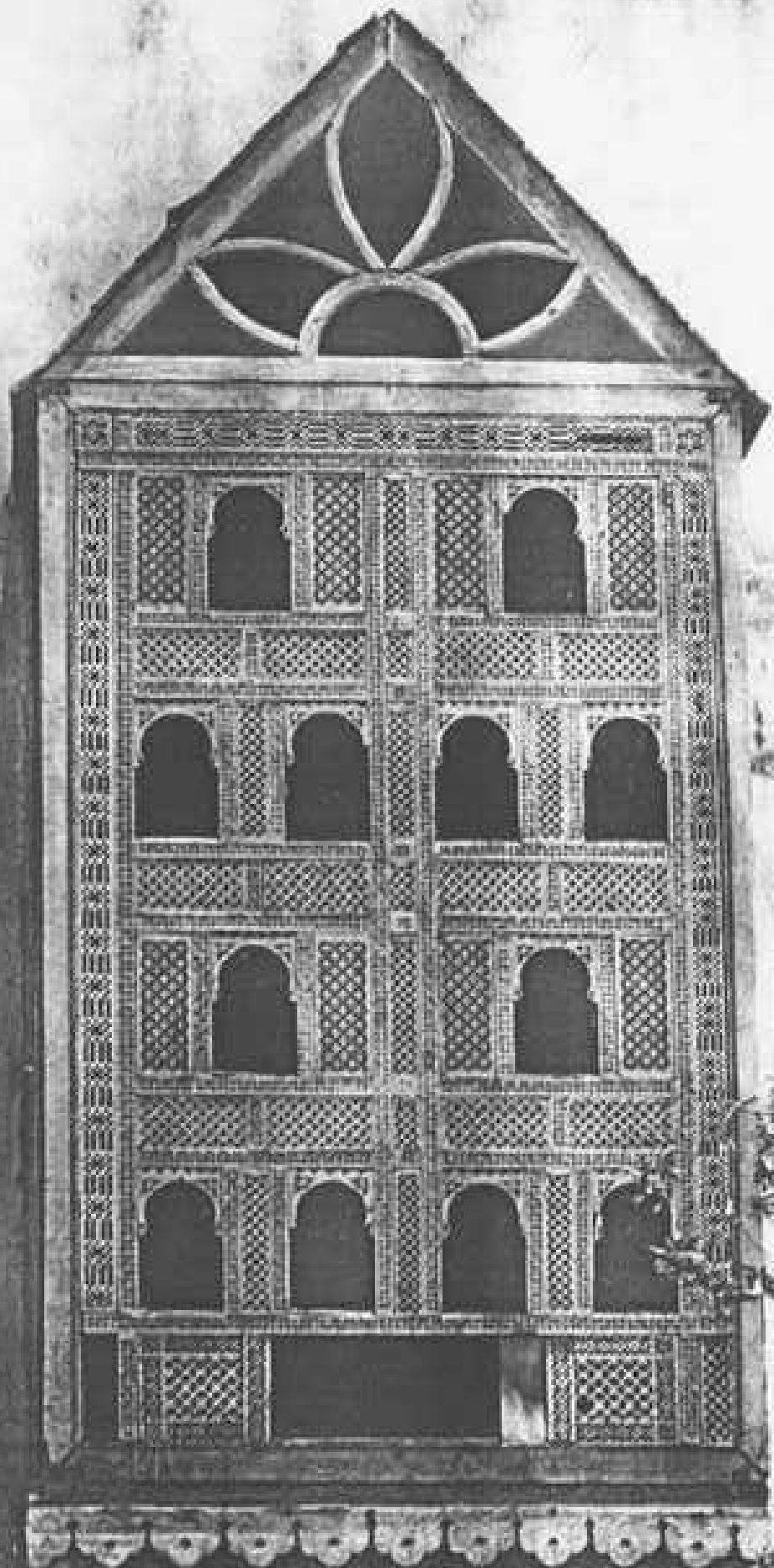
الإجتماعي وذلك بدعم سخي من رجالات الأمة الأوفياء.

وصفوة القول إن اكتشاف موقع المدرسة الياقوتية في عدن الذي أسفرت عنه هذه الدراسة، يؤكد وجود الكثير من المآثر والمعالم في المدينة، التي طواها الإهمال والنسيان، أو التي طمرت وتلاشت، وفي حاجة لمن يميظ عنها اللثام، وبالتالي يدحض الآراء والتي تفيد أن مدينة عدن حديثة عهد لا تضرب بجذورها الى القدم، ويحفز الباحثين لمزيد من البحث والتقصي

ومن الحق التنويه بالجهود المتميزة التي يبذلها مديرها الاستاذ/ أمين باوزير، وهي جهود جديرة بأعمق الأهتمام، فقد توخى لها مناهج الرشد والصلاح وسعى إلى تحديثها بحيث غدت مدرسة نموذجية، وامتداداً للمدرسة الياقوتية الأولى، ووضع لها أنظمة وبرامج، فتعددت مناشطها، وأصبحت تلبي العديد من إحتياجات الناس الضرورية والهامة وبخاصة المعوزين والفقراء والأيتام، ومن أبرز أهدافها دعوة الأمة إلى التكافل

الهوامش :

- (١) ومنهم الاستاذ حسن صالح شهاب الباحث في علوم البحار وصاحب المؤلفات العديدة في هذا العلم، ومن أهم كتبه في تاريخ مدينة عدن «عدن فرضة اليمن» إصدارات مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، ١٩٩٠م.
- (٢) يعقوب هارلدوف، ملوك شبه الجزيرة العربية ترجمة، أحمد المضواحي، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار العودة بيروت ١٩٨٣م، ص ٣٧.
- (٣) الاكوع، اسماعيل بن علي، المدارس الاسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.
- (٤) بافقيه، محمد بن عمر المتوفى بعد سنة ١٠٠١هـ ١٥٩٢م تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المرين والاولياء والصالحين المعروف ب (تاريخ بافقيه الشحري) مخطوط، دت مكتبة الاحقاف للمخطوطات، تريم ص ١٤٨ - ٤٩٢ والعيدرورس، عبد القادر بن شيخ المتوفى سنة ١٠٣٨ / ١١٢٨م النور السامر عن اخبار العدن العاسر، د.ر.بيروت ١٩٨٥ ص ٤٨ ويطلق بافقيه على الموضوع الذي قامت عليه المدرسة «تربة البصال» او «دار مقبرة الفقيه محمد بن احمد بافضل ص ١٤٨ - ٣٣٦ - ٤٩٢.
- (٥) الاكوع، المرجع السابق ص ٥٧ - ٣٩٢.
- (٦) بامخرمة، ابو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله المتوفى سنة ٥٩٧٤هـ ١٥٤٠م تاريخ ثغر عدن ط٢، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م ص ١٥٩.
- (٧) محمد بن يوسف بن يعقوب المتوفى سنة ٧٣٠هـ ١٣٢٩م، السلوك في طبقات العلماء والملوك تحقيق محمد علي الاكوع، وزارة الاعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨٣م، ١ / ٥٣٣.
- (٨) شارع الملك سليمان المحاذي لشارع اروى في عدن «كريتر».
- (٩) البريهي عبد الوهاب بن عبد الرحمن المتوفى بعد سنة ٩٠٤هـ ١٤٩٨م طبقات صلحاء اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحببشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء دار الاداب، بيروت ١٩٨٣م ص ٣٣٣.
- (١٠) الاكوع، المرجع السابق، ص ٣١٠.
- (١١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، المرجع السابق، ص ١٩٨-١٩٩.
- (١٢) النور السافر، المصدر السابق، ص ٣١٢.
- (١٣) عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٩٤٤هـ ١٥٣٧م، قرة العيون باخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد علي الاكوع، المكتبة اليمنية الحوالية، صنعاء ١٩٨٨م، ص ٤٢٢.
- (١٤) السلوك، المصدر السابق ١/ ٥٤٠.
- (١٥) قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر (مخطوطة) مجموعة محمد بن عمر بن سميظ رقم ٨٠٥ مكتبة الاحقاف للمخطوطات، تريم ٨٦٢/٣.
- (١٦) طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم بيروت ١٩٥٧ ص ٢٢٧.
- (١٧) تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، ١٩٦٠م ص ٢٧٥.
- (١٨) بامخرمة، القلادة، المصدر السابق، ١٨٧/٣.
- (١٩) الاكوع، المرجع السابق، ص ٣٠٦.
- (٢٠) المرجع نفسه ص ٣٠٩.
- (٢١) المرجع السابق، ص ٢٦٨ - ٣٣٧.



صورة العلافه الأمازيغية، الفنان محمد الرجيني العالوي (الطابقين من جدار العبد)
صورة العلافه الخلفي، الفنان صلاح عاصم، برودة، سمرقند.

